ناجي العلي: سحر الكرامة

ذات أسبوع في دمشق

جورج بهجوري

وجهُه، أنفُه، شعرُه، عينُه

مع جلسة الشاي في فندق دمشق تأملتُه إلى جواري وامتلأتْ كرّاستي باسكتشاتِ وجهه. لم يلتفت إليّ كثيرًا؛ فقد أَمْتعَتْه لحظةُ سمرٍ خاطفة مع نبيل السّلمي وعلي فرزات ويوسف عبدلكي والصبّان والشمّاع.

رأس من الأحجار الكريمة صلبٌ يَبْرق بالنبل والشجاعة، كأنّه قطعةُ نحتٍ في متحف الإنسان بباريس، أو تمثال من تماثيل مايكل أنجلو في فلورنسا.

أكثرُ ما يحيِّرني وأنا أرسمه تسجيلُ نظرات عينيْه. فأنا لا أرى عينيه، رغم أنّه عندما يحادثني تصبح نظراتُه ثاقبةً، إذ ينتظر إجابتي ـ مثلاً ـ عن سؤاله عن فنّ الجرافيك وكيفيّةِ إضافته إلى النكتة السياسيّة لمزيد من التحريض البصريّ دعمًا لرسالة تدافع عن القضيّة التي يهدف إليها الرسمُ.

ورغم أنّي كنتُ أدور بقلمي على الأوراق بحثًا عن تعبيرات الزملاء من حولي ومن حوله، فإنّ تعبير وجه ناجي العلي كان يشدّني من جديد، فأعاود تجربة الكروكي لوجهه منبهرًا أحيانًا ومازحًا أو ساخرًا أحيانًا أخرى.

وكنتُ قد اختبرتُ وجهَ علي فرزات وتعبيرَ الغطرسةِ على ملامحه، واختبرتُ أسنان نبيل السلمي عندما يَضْحك وحدَه على قفشةٍ هو مبدُعها، أو تمتمةَ عبدلكي على حوار ـ ساخرًا هو الآخر من كلّ شيء، وهو يتنغّم بالكلمة «هيك.»

إلا أنّي أعود إلى رسم وجه ناجي العلي باحثًا عن عينيه؛ فأنا أرسم في لوحاتي العيونَ واسعةً. أما هنا فعظامُ الجبهة في وجهه عالية ترتبط بعظم الوجنة في التحام مباشر، حتى أصبحت العينُ محفورةً في الداخل، تَرى ولكنّها لا تُرى، الأمرُ الذي يعطي جديّةً للتعبير في وجهه، فكأنّه يخفي فرحَه أو حزنَه. وهو ما جعلني أُثَبّت طرفَ القلم على الورقة متابعًا رحلةَ المشاعر على وجهه. وكنتُ كأنّي أُكْمل لعبةَ الرسم، فأبادره أحيانًا بقفشة أو مداعبةٍ ذاتِ مغزى أو من دون مغزى، لأنّ هدفي كان تحويرَ وجهه لينجح رسمي.

الأنف كما رسمتُه مدبَّب أنيقٌ حادّ مسحوب في خطوط رأسيّة، كما الفنّ البيزنطيّ ورسوم الأشخاص على جدران المعابد والأعمدة الكورنثيّة. وهو يمتدّ من أعلى الجبهة إلى أسفل الذقن، حيث يقابلني خطٌّ بسيطٌ أفقيٌّ يعبِّر عن زمّة الشفتين: كأنّه يصمت. هذا الانطباع هو جزء يتعلّق بشخصيّته لأنّه يَرْسم ويعبِّر برسمه عن كلّ ما يودّ أن يقوله، فيصبح الرسّامَ الرائعَ ناجي العلي. لقد قال برسمه كلَّ ما يريد أن يقوله، واستمع إليه الآلافُ الذين يقرأون صحيفتَه ـ وأولُ القرّاء صديقُه وصديقُنا طلال سلمان.

أتذكّر بالمناسبة عندما كنتُ أَرْسم المطربَ العاطفيّ عبد الحليم حافظ، ولم يكن مشهورًا بعد. كان عبد الحليم يجلس أمامي في غرفة الرسّامين بدار روز اليوسف في إحدى زياراته وهو يدندن. كنتُ أكتفي من رسمي بظلال الجبهة العالية على الوجنة، والعينان محفورتان، فلا أرسمهما لكنّ أثرهما يبقى كظلّ فقط.

ويبدو أنّ العين المختبئة هي إحدى علامات العبقريّة كما يقول الفيلسوف الإيطاليّ لامبروزو عن عبّاس العقّاد في **عبقريّة عمر** الذي يقول إنّه يسير كأنّه راكب أو فارس. وهذا هو ما تابعتُه في حركة صديقي ناجي العلي عندما تَرَكَ مكانَه بجواري... بل إنّي لاحظتُ أنّه لا يسير، ووجدتُه ـ في رؤيتي الكاريكاتوريّة ـ وكأنّه يَقْفز كالكانجارو. فضحكتُ في سرّي دون أن أفضحَه أو أفضحَ نفسي. وعلامة أخرى هي أنّه يرسم بيسراه. (ملحوظة صغيرة... عيني أيضًا مختبئة). ووجهه كأنّه يضع تاجًا من الفضّة على رأسه، وهو لون شعره الذي يحمل وهجًا غيرَ عاديّ.

اختلفنا

أَعْترف بأنّي اختلفتُ مع ناجي العلي، أولاً لأنّه تقدَّم في هذا المهرجان الكاريكاتوريّ بمرآة مكتوبٍ عليها «مطلوب القبض عليك» وأضاف بالإنجليزيّة كلمة «Wanted.» كان كأنّه يتنبأ بصراعه مع الرجعية العربيّة، التي رَمَزَ إليها بأصحاب كروش كريهي الملامح في رسومه الناجحة. إلا أنّ لوحته التجريديّة للمرآة، رغم فكرتها الذكيّة، لم تُثْبت أنّه رسام: فهو لم يرسمْ سوى العنوان «مطلوب» إذ يرى كلُّ واحد يزور المعرضَ نفسَه في

جورج بهجوري

(جريدة السفير، ٣/٩/١٩٨٠)

(جريدة السفير، ٣٠/٧/١٩٨٠)

مطلوب القبض على الأحرار، ولا حريّة رأي في العالم العربيّ

المرآة؛ والمعنى: أنّ الأحرار مطلوبٌ القبضُ عليهم، ولا توجد ديموقراطيّةٌ وحريّةُ رأي في العالم العربيّ.

لم تَفُزْ لوحةُ ناجي العلي «المرآة» وحدها بالجائزة الأولى للمهرجان كما تمنّى، بل فازت مع لوحة لعلي فرزات وأخرى لنبيل السلمي. (أما أنا فقد كنتُ خارج المسابقة لاشتراكي في لجنة التحكيم مع أعضاء الأمانة العامة وفاتح المدرّس، التشكيليّ المعروف).

كما انتقدني ناجي العلي في كلمته الأخيرة في ختام الحفل الأخير، فقال إنّ لوحتي التي شاركتُ بها تُعتبر فنّاً تشكيليّاً ولكنّها لا تحمل مغزًى كاريكاتوريّاً، رغم أنّي رسمتُ بألوان زيتيّة كيف ضاعت ملامحُ الرئيس السادات مع ملامح بيغن عندما تلاقيا بالأحضان. وكنتُ أظنّ ذلك مغزًى سياسيّاً!

ذكرياتي مع ناجي العلي حصيلتُها أسبوعٌ واحد فقط في دمشق، إلاّ أنّه أسبوع كما الدهر: غنيّ بمناقشات ولقاءات طيلة النهار، وبسهراتٍ إلى مطلع الفجر، حتى وصلت الصداقةُ بيننا إلى أقصى درجات الحميميّة والأخوّة. ولا أَحْمل في نفسي إلاّ أن أبكيه خمسة عشر عامًا.

نَحْمل سيفك

في عنقي دَيْن كبيرٌ للفنّان ناجي العلي. لقد دفع حياته مقابلَ حريّة رأي الرسّام الكاريكاتوريّ، لكي يبقى شرفُ الكلمة والخطُّ المرسومُ والفكرةُ الساخرةُ رايةَ الأحرار والمناضلين من أهل الفنّ.

سأَحْملُ رايتَكَ وأَرْسمكَ طيلة العمر: فارسًا حاملاً سيفًا، من أجل أن نبقى نحن جميعًا ـ رسّامي الكاريكاتور ـ فرسانًا مثلَكَ في معارك القمع والظلم والاحتلال والتهديد والتخويف.

سيفُك القلمُ، الذي سال بالحبر الأسود على الورقة البيضاء في سحرٍ وبلاغةٍ، نَحْمله معنا.

باريس ـ ايفري

جورج بهجوري

رسام كاريكاتوريّ مصريّ. يقيم في باريس. اقرأ «قصة لقائه بناجي العلي» ص ١٠٣ ـ ١٠٥.